

الزمن خير حلال للمشكلات

من الأمور البديهية المقررة المسئلة أنك لن تستطيع مهما حاولت أن تعيش طيلة حياتك على نمط واحد أو أسلوب واحد ، بل لابد من التغير والتبدل ، والإقبال والإدبار والسراء والضراء ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والسعادة والشقاء ، والراحة والتعب ، والاطمئنان والقلق ولن تمر بك الأمور كما تمر الريح هادئة رخاء ، بل ستصادفك أمور ومشكلات محتاج منك إلى حسن النظر وعميق التدبر . وكثير من الناس قد وهبهم الله الفكر الناضج والعقل النير والاحتيايل اللطيف أمام دقائق الأمور ، ولكن بعضهم لا يحسن اختيار الوقت الذي يعالج فيه ما يعرض له من مشكلات ، سبب ذلك أنهم يريدون أن يعيشوا في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل دفعة واحدة ، فهم يجترونها ذكرياتهم ، الحسن منها والقيبح ، ويشغلون أنفسهم بها شغلا سينا ، فيقولون : لو كنا فعلنا كذا لكان يستحسن ، ولو ، فتفتح باب الشيطان كما يقول الحديث .

وهم أيضا يتطلعون إلى المستقبل ويفكرون فيه مع أنه لا يزال غيبا يعلمه الله ، فهم يقولون : ماذا نفعل لو حدث كذا ، وما هي النتيجة لو لم يتيسر لنا كذا ، ويتركون حاضرم وعاجل أمورهم ، ويبدأون في نسج ثوب طويل عريض لمستقبلهم ، مع أن مستقبلهم لم يولد بعد ، ومع أن حاضرم أولى بهذا الثوب أو بعضه ، وبذلك الاختلال في اختيار الوقت المناسب لحل المشكلة يفقد أولئك الناس كثيرا من راحتهم وهنائهم وسعادتهم ، ولو أنهم عاشوا في حاضرم وحده ، وواجهوا مشكلاته وحدها ، وحلوا في وقتها المناسب ، لو فروا وقتهم وجهودهم ، وسعدوا بدنياهم !! .

ومن العجيب في هذه الحياة أنك قد تعرض لك المشكلة من المشكلات ، وأوانها لم يحل بعد ، فتذهب ضاربا الأخماس في الأسداس ، ومحاولا بقسوة وشدة أن تجد

لها حلا فلا تستطيع ، فتظل مسهد الطرف قلق الخاطر خافق القلب ، تتوهم أن أشياحا سودا تنتظرك ، وأن إخفاقا في الطريق يتهددك ، وأن شقاء في الغد المهيم سيلقاك ولكن الأيام تمر ، ويحل ميعاد ما عرض لك من مشكلات ، فإذا بالزمن نفسه قد حلها ، وإذا بتقديرك قد بعد أو شط ، وتكفل الدهر بنهوين ما عسرت ، وتقريب ما أبعدت ، ولعل الشاعر يرمز إلى هذا المعنى من طرف خفي حين يقول :

تفنون والفلك المحرك دائر
وتقصدون فتضحك الأقدار

في كثير من الأوقات مرت على أزمت ضقت بها ، ولم أعرف الخلاص منها ، وأكثرها كان يغلق على أمره فلا أستبين فيه رشادا ، وخاصة حينما يتصل ذلك بغيري من الناس ، فأقول مثلا : كيف السبيل غدا إلى إرضاء ذلك الصديق ، أو قضاء حاجة ذلك الرفيق ، أو الوفاء بذلك الوعد ، أو النجاح في تلك المحاولة ، أو الوصول إلى ذلك الهدف . أو تجنب هذا الخطر المداهم المقبل بعد قليل ؟ . وهكذا من أمثال هذه الفروض والحلول ، وأضيق ذرعا كما قلت حين لا أعرف الحل الفاصل اليسير لهذه المشكلات ، ثم أقول بعد هذا كله : هيه ! . دعها للزمن ، فسيتولى حلها . وكثيرا ما يصدق ظني فيتولى الزمن الحل ، في الساعة الفاصلة أحيانا ، وقبل الأوان أحيانا أخرى !! .

أيها الإنسان ، عش في ساعتك التي أنت فيها ، وأحسن التدبير لها ، ولا تشغل نفسك بأوهام تتخيلها في مستقبل غامض لم يأت بعد ، فإن عرض لك شيء من ذلك فقل في نفسك ، أو بأعلى صوتك : دع ذلك للزمن يتولى حله ، فإن الزمن خير حلال للمشكلات !! .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف